العقل والوجود

يضم هذا العنوان مفهومان العقل من جهة والوجود من جهة أخرى.

العقل

يعرفه الجرجاني بعدة تعريفات: (قوة للنفس تشمل الحواس الظاهرة والبطنة[1]) و (الذهن هو الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر[2]) بمعنى الاستدلال. بشكل عام على أنه ملكة الفكر البشري[3] التي تستعمل بهدف تحديد معايير الحقيقة وما ليس حقيقة والتمييز بين الخير والشر، وبشكل عام توجه الإرادة. إذن لهذه الملكة عدة استعمالات علمية أخلاقية وتقنية.

نتيجة لذلك، يمكن للمرء أن يميز، من وجهة نظر المعايير العقلانية:

- العقل كمجموعة من المبادئ التوجيهية للمعرفة أو الفعل.
- العقل كمبدأ لإنشاء وترتيب هذه المبادئ.

الوجود

مصطلح الوجود في حد ذاته غامض لأنه يغطي معاني متعددة، واستعمل عند عدة فلاسفة بشكل غير محدد وقد يكون الغالب على ذلك هو تعريفه بالكينونة. في الميتافيزيقا لاسيما عند طوماس الاكويني يشكل هذا المصطلح الجوهر. يصبح ماهية الأشياء الموجودة بحد ذاتها، والوجود بالمعنى الواقعي أي ما يعرف في الواقع. ولم يستعمل هذا المصطلح إلا للدلالة على الإنسان: الإنسان هو الموجود الوحيد، ومن خلال هذا المعنى الوجودية عند سارتر يستعمل هذا المصطلح، وكذلك مارتن هيدغر[4] وايمانويل لفيناس. إن الوجود عن هيدغر لا يخص إلا البشرية، فالأ شياء والحيوانات هي هنا فقط أي توجد في مكان. في الوجود نجد فكرة الحياة مع هشاشتها وشكوكها. ولكن أيضا الحركة.

استعمله ديكارت لإثبات عقله ووجوده في حد ذاته، ووجود الله. وقسمه المسلمون إلى قسمين: واجب الوجود، وممكن الوجود. الا إن العملية انعكاسية (حتى تكون موجودا يجب على العقل أن يكون موجودا وأن يفكر، وحتى يقوم العقل بهذه العمليات العقلية يجب إن تكون موجودا، (إدراك للعقل للوجود بما هو موجود[5]).

لقد ابرز يوسف كرم في كتاب له بعنوان (العقل والوجود)، أهميةَ الدور المحوري الذي يلعبه العقل في إدراكِ الموجوداتِ التي يُعنَى بها مبحث الأنطولوجيا «مبحث

---

[1] مكتبة الدراسات الفلسفيةالطبعة الثالثة. دار المعارف بمصر. من دون تاريخ. ص،يوسف كرم. العقل والوجود 9.

[2] المرجع نفسه. ص9

[3] http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/raison/

[4] Martin Heidegger (trad. Vezin), *Être et Temps*, Paris, Gallimard, 1986.

[5] يوسف كرم. العقل والوجود. ص97

الوجود» باعتباره أحد المباحث الفلسفية الأساسية، ويتفق الكاتب مع وجهة النظر الفلسفية القائلة: إن المعرفة العقلية أرقى من المعرفة الحسيةِ، وذلك باعتبار أن العقل ملكة إنسانية تمتلكُ قوة تُمكِنها من إدراكِ أنماط شتى من المعارف اللامادية، ويربط الكاتب بين الموجودات والدور الذي يلعبه العقل في إدراكِ هذه الموجودات؛ وذلك باعتبار أنَ العقل هو الرئيس المدبر لشئون الحكم في الموجودات من نباتاتٍ وحيوانات وغيرها؛ أي إنه هو القاضي الذي يمتلكُ القول الفصل في الحكم على الموجودات وما تتفرع إليه من مبادئ وأقسام.
انطلاقا من الفلسفة اليونانية، ثم الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، وأخيرا الفلسفة الحديثة، تم معالجة مسائل كثيرة منها من يؤكد على المعرفة العقلية ومنها من يؤكد على المعرفة الحسية أو التجريبية ومنهم من يرفعهما معا. وللفيلسوف المؤمن بصدق العقل والحواس أن يجاريهم فيقتحم المنطق ويثني على الفلسفة الطبيعية مرجئا نقد المعرفة إلى مكانه المنطقي الذي هو علم ما بعد الطبيعة أعم العلوم والمختص من ثمة بالفحص عن أعم المسائل.

لكن كل مطلع على الفلسفة يعلم أن مسألة المعرفة هي المحور الذي تدور حوله مسائل الوجود، بمعنى أن حلول هذه المسائل تتعين تبعا للحل المرتضى لمسألة المعرفة، ففي تقديم هذه المسألة إظهار للأسباب الأولى التي حدث بها كل فيلسوف على سائر آرائه. لما كانت المعرفة الإنسانية تتألف من مدركات تمثل الأجسام، أي مظاهرها المحسومة مكتسبة بالحواس الظاهرة ومختزلة في المخيلة، ومن مدركات مجردة عن كل عرض محسوس ومكتسبة بما يسمي بالعقل، وكان الفلا سفة متفقين إجمالا على أن المعرفة العقلية (على تضاربهم في طبيعتها وقيمتها) أعلى من المعرفة الحسية وحاكمة عليها؛ انتهت مسألة المعرفة إلى أن تكون مسألة العقل (فإذا أردنا أن نعرف العقل ريثما نقبل على دراسته بالتفصيل، قلنا انه قوة في الإنسان تدرك طوائف من المعارف اللامادية. يدرك العقل **أولا** ماهيات الماديات، أي كنهها لا ظاهرها، ويدرك **ثانيا** معاني عامة: كالوجود، والجوهر، والعرض والعلية والمعلول، والغاية والوسيلة، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والحق والباطل. ويدرك **ثالثا** علاقات أو نسبا كثيرة: كالعلاقة بين أجزاء الشيء الواحد، وعلاقات الأ شياء فيما بينها، وعلاقات المعاني التي ذكرناها الآن، والعدد والترتيب. فهذه المدركات غير مادية، فلا ينفذ الحس إليها بحال. وليست العلاقة أن النسبة موجودا واقعيا، وإنما الموجود طرفاها، فإدراكها إدراك معني غير مادي. ويدرك العقل **رابعا** مبادئ عامة في كل العلوم ...ويدرك **خامسا** وجود موجودات غير مادية، كالنفس و الله وخصائصها الذاتية. ويدرك **سادسا** وبالاستدلال يؤلف الفنون والعلوم، مما لا

مثيل له عند الحيوان الأعجم مع حصوله على المعرفة الحسية[6]).

الخاتمة: العقل والوجود مفهومان يختلفان في المعنى من فيلسوف الى آخر ومن عصر الى آخر، إلا أنهما لا ينفصلان في الوجود. العقل لا معنى وغير موجود في حالة انتفاء الوجود وهذا الأخير لا وجود له في حالة انتفاء العقل الذي ندرك به الوجود واللاوجود أي الميتافيزيقا.

[6] 8يوسف كرم. العقل والوجود. ص